

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

هناك أمران مهمان يتعلقان بمسيرتنا نحن طلبة العلم والمبلغين والخطباء، وهما:

الأمر الأول: أصناف المتعلمين

فعن أبي إسحاق السبيعي، عمن حدثه عن يوثق به، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «إن الناس آلوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ثلاثة - وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في كل زمن وجيل - : عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره، وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده، وقد فتنته الدنيا وفتن غيره، ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة...».

الصف الأول: عالم على هدى

ومفاد هذه الفقرة الشريفة: أن العالم المستغني بعلمه يحتاج إلى شرطين (علم وهدى)، فإنه يحتاج إلى العلم بمعارف أهل البيت في الفقه والكلام والأصول والأخلاق، ولكنه يحتاج أيضا إلى شرط آخر وهو الهدى، بأن يكون على بصيرة، فهذا القرآن الكريم يقول في حق النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. ويقول القرآن الكريم: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٥]، أي لا تفيدك الأعذار فأنت أبصر بنفسك.

والبصيرة عبارة عن ثلاثة أسئلة يوجهها الإنسان لنفسه كل يوم، ويطالب نفسه بالجواب عنها، هل طريقي صحيح؟ هل سلوكي سلوك التقوى؟ هل علاقتي مع الناس علاقة حسنة أم لا؟ حتى لو كان أستاذاً كبيراً في الحوزة العلمية فإنه يحتاج أن يسأل نفسه هذه الأسئلة، وهي:

السؤال الأول: هل طريقي صحيح؟

فأنا بعد عشرين سنة أو ثلاثين سنة في الأصول والفقه والكلام ماذا قدمت للدين ولمذهب أهل البيت

(صلوات الله عليهم أجمعين)؟ فهل طريقي صحيح يؤدي إلى تحقيق الهدف أم لا؟

السؤال الثاني: هل سلوكي بيني وبين الله سلوك المتقين ومصدق لقوله عز وجل ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وهل أنا أخاف الله في سلوكي وتصرفاتي؟ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] فهل أنا كذلك؟

السؤال الثالث: هل علاقتي مع الناس هي علاقة فظة غليظة؟ أم علاقة التواضع والاحترام ومصدق لقوله عز وجل: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].
فهذه الأسئلة الثلاثة هي البصيرة، وهي أيضاً المصدق لقول الرسول (صلى الله عليه وآله): (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا)، فلا بد لي قبل أن أسأل هذه الأسئلة أن أسأل نفسي عنها وأجيب.

الصنف الثاني: جاهل مدعٍ للعلم

فلا علم له وإنما هو معجب بما عنده، قد فتنته الدنيا وفتن غيره، وهذا الجاهل قد تبتلي به الحوزات العلمية، أو قد يبتلي به المذهب، أو قد تبتلي به الناس.
والجاهل قسمان: مفتون ومفتن.

فالقسم الأول: هو المفتون هو الذي يرى نفسه بلغ ما بلغ، فلذلك هو دائماً في مدح نفسه ومدح علمه ومدح أفكاره، قد فتنته الدنيا والألقاب، أو المناصب أو الشهرة، لكنه مسكين فإنه لم يبلغ من العلم شبراً، وهذا ضرره خطير على الأمة.

والقسم الثاني: المفتن، وهذا أشد خطراً من الأول، فهو الذي يتمسك ببعض المعلومات والكلمات لتضعيف الدين أو توهين مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وإبعاد الناس عن أئمة الهدى (صلوات الله عليهم)، أو فصل الناس عن معارفهم الحققة.

الصنف الثالث: متعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة

ولكي نكون من هذا الصنف نحتاج إلى أن نمتلك الصفتين: التعلم من عالم خير، وأن يكون التعلم مقروناً بالهدى والبصيرة والالتفات إلى تهذيب النفس وإصلاحها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [فألهمها

فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠]، والتعبير القرآني دقيق، حيث عبر عن الذنب بأنه دس - أي خيانة وغش - لأن الذنب تعريض للنفس بالوقوع في محرقة نار جهنم.

الأمر الثاني: التعامل مع الفتنة

كيف يتعامل المتعلم والخطيب والمبلغ مع الفتنة؟

ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: (المتعبد على غير فقه كحمار الطاحونة يدور ولا يبرح، وركعتان من عالم خير من سبعين ركعة من جاهل، لأن العالم تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه، وتأني الجاهل فتتلفه نفساً).

والفتنة قد تكون فتنة شخصية - كالخلاف بين الناس -، والخلاف يحدث عادة لاختلاف الأذواق والأمزجة والعقول، فلا يمكن محو الخلاف، وإنما المهم كيف نتعامل مع الاختلاف، خصوصاً نحن طلبة العلم، فإن المناسب لمعارف أهل البيت (عليهم السلام) أن نتعامل بالاحترام والكلام الجميل وإدارة الاختلاف إدارة حسنة ولو بالتنازل بكظم الغيظ والعفو والله يحب المحسنين.

وقد تكون الفتنة فتنة سياسية، وقد تكون الفتنة فتنة فكرية وهذه أشد الفتن، والإنسان المتعلم ذو البصيرة إما أن يكون عنده برهان واضح يرفع به الفتنة، وإما أن يصمت، فكثير من الأمور يكون الصمت فيها أنجع وأفضل من الكلام، لأن الكلام قد يزيد نار الفتنة.

وقد ورد في الحديث: (كثرة الصمت تدل على وفور العقل)، فإن من يتعامل مع الأمور - خصوصاً الفتن والتقلبات - ببعد النظر والصمت إلى أن تتضح المعالم هو العالم الذي يخرج من الفتنة بعلمه.

وأما الجاهل - والعياذ بالله - فإنه يدخل في الفتن ويرفع صوته ويقول لغواً كثيراً، ويكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَافِضِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [المدثر: ٤٥] - حيث إن الفتنة ماء وسخ يدخل فيه الإنسان فيخوض فيه ويلوث نفسه - ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿٤٦﴾ [المدثر: ٤٦]، فليس المقصود بتكذيب يوم الدين خصوص إنكار يوم المعاد، بل يشمل التكذيب العملي، أي عدم الخوف من الله ومن لقاءه.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق للعلم مع الهدى والبصيرة، وأن نكون من المرضيين عند مولانا صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.